رأس المثلث

لحضرة صاحب العزة الأستاذ أنطون الجميل بك

رئيس تحرير جريدة الاهرام الغراء

ما كادت مصر فى الربع الثانى من هذا القرن ، تعرف بعض الاستقرار من الوجهة السياسية ، حتى تلفتت الى حالتها الاجتماعية فها لها ما رات من أمراض متوطنة تستنزف حيوية الأمة مع ندرة المستشفيات ، ومن جهل مطبق على تسعين فى المئة من السكان مع قلة معاهد التعليم ، ومن فقر مدقع يعض بنابه الملايين مع انعدام مؤسسات البر والإحسان.

رأى الممكون وقادة الرأى هذه الحالة المروعة، فأيقنوا أن كل نجاح فى ميدان السياسة ذاهب هباءا ما دام لا يدعمه رقى اجتماعى ونهوض اقتصادى . فهبوا ينشرون الدعوة الى إنشاء المستشفيات والمستوصفات ، والى فتح المدارس وتقرير التعليم الإلزامى وفقا لأحكام الدستور ، والى تأليف جمعيات البر والتعاون . وأخذت الحكومات المتعاقبة تلبى رغبات البرلمان ، فتزيد سنة بعد سنة قيمة الاعتمادات فى الميزانية لهذه المنشآت . ولكنها كانت خطوات وئيدة مترددة ، هيهات أن تعوض بها ما فات فى الزمن الغابر لتلحق بركب الانسانية السائر إلى الأمام ، وقد تخلفنا عنه مدة طويلة .

وفى سنة ١٩٣٩ أنشئت " وزارة الشؤون الاجتماعية " فكان إنشاؤها محل نقد المتعنتين الرجعيين ، بل إن أصواتا قد ارتفعت فى البرلمان نفسه بطلب إلغاء الوزارة الجديدة ضنا بالاعتمادات الضئيلة المخصصة لها . وهكذا ما كادت صغرى وزاراتنا تبصر النور حتى أراد كثيرون وأدها فى مهدها ، لولا أن قيض الله لها من كفلها وصانها ، فعاشت ، وظلت سنتين من الزمن ، زمن الطفولة ، تحبو وتحاول الوقوف . وما أن ثبتت على قدميها حتى بدأت تسير بخطوات واسعة نحو الاصلاح المنشود، وغدت اليوم من أوسع وزاراتنا عملا، وأبعدها نفوذا، وأعمقها أثرا، فى نهضتنا . فدلت على أن الفكرة التى قامت بإنشائها كانت فكرة صائبة موفقة .

* * *

وليس اليوم مجال عرض ما قامت به وزارة الشؤون الاجتماعية من مشروعات نافعة . ولكننا نقف عند آخر مشروع نصبت نفسها لتحقيقه ، وهو مشروع " مكافحة الأمية " وقد كان لى شرف العضوية فى اللجنة التى الفتها الوزارة لوضع أسس هذا المشروع ، وهو مشروع قد يتعثر فى بداية تنفيذه ، ولكن الأيام ستحقق ما يرجى منه من خير عميم و إصلاح شامل ، فيقوم قريبا الدليل القاطع على أنه أخطر مشروع أقدمت عليه الحكومة ، بعد مشروع التعليم الإلزامى ، من حيث أثره البعيد فى نهوضنا الاجتماعى .

أجمع الباحثون فى عالمنا الاجتماعية على أن هـذه العلل فى نهاية الأمر تتركز فى مثلث ، قامت بجميع الآفات التى نشكو منها على زواياه الثلاث ، وهى المرض ، والفقر ، والجهل .

ولا شك فى أن رأس هذا المثلث هو الجهل . فاننا مهما أردنا أن نقوى على استئصال المرض من جسم المريض ، وعلى توفير أسباب الرزق له ، ما دام الجهل يسيطر عليه و يضرب حجابا على قلبه وعقله ، فلا يلبث أن يعود إلى مرضه و ينشره حوله ، ولا بد من أن يظل يتسكع فى فاقته وعوزه يقاسى مرارة الحرمان .

وهذا ما أقنع الوزارة بوجوب مكافحة الأمية ، وهذا ما حداها إلى تنفيذ هذا المشروع دون تلكؤ .

قابل البعض هـذا المشروع ، كما قابل أمثالهم من قبل مشروع إنشاء وزارة الشؤون الاجتماعية ، بابتسامة يمازجها كثير من الشك وكثير من الاستهزاء . ولكنه سيهبو و يتعثر ، ثم يقف على قدميه و يسير قدما إلى الهدف النبيل المرسوم له .

ذلك أن مكافحة الأمية والجهل هى دون سواها السبيل إلى معالجة أمراضنا الاجتماعية . ومن ثم إلى السير فى طريق الفلاح والنجاح .

لا نستطيع التغلب على المرض والفقر إلا إذا حاربنا ، ونحن نحاربهما ، الجهل أصل المرض ومصدر الفقر .

جبهات ثلاث نحن مضطرون إلى خوض ميادينها لإحراز النصر ، ولكن جبهة الجهل أشدها خطورة ، لأنها هى التى تمد جبهة الفقر ، وهى التى تغذى جبهة المرض ؛ وما دمنا لم نحرز النصر النهائى فيها ، فكل انتصار فى الجبهتين الأخريين انتصار وقتى يعقبه انكسار وتليه هزيمة .

الجهل ، والمرض ، والفقر ... مثلث يجب أن نهدم رأسه لنتمكن من تقويض ركنيه و إلا أنفقنا الجهود والمال سدى .

فى أساطير قدماء الإغريق أنه كان فى مدينة " ليرن " تنين هائل ذو تسعة رؤوس ينفث من كل منهما اللهب القاتل والسم الزعاف . وعبثا حاول الكماة قتله ، إذ كان ينبت له بدل كل رأس يقطعونه رأسان ، إلى أن جاء البطل الجبار " هراقلين " فأوقد النار فى الغابة التى كان يعيش فيها ذلك الوحش العاتى ، وأخذ يجتث رءوسه و يلقيها فى النار ، فتتحول رمادا تذروه الرياح ، إلى أن أتى عليها جميعا ، فقضى على التنين وأنقذ الناس من شره . . .

وظلت حكاية "هراقلين" هـذه مثلا يضربه الغربيون فى استئصال الداء من شأفته واقتلاع الشر من جرثومته .

ولا شك فى أن مكافحة الأمية هى ضربة الجبار "هراقلين" التى نوجهها اليوم إلى الجهل ، رأس مثلث آفاتنا الاجتماعية . فإذا هدمناه قوضنا ركنى المثلث من مرض وفقر ، وشيدنا صرح نهضة صادقة تقوم على مثلث آخر ، رأسه المعرفة وركناه الصحة والرخاء .

أنطون الجميل